المسرح المصرى

وكيف تشيده على دعائم ثابتة

للأستاذ دريني خشبة

لا بد أن يكون لنا مسرح إذا أردنا أن ندخل الأدب المسرحى فى الأدب العربي ، وسوف يظل الأدب العربى فى مؤخرة آداب العالم ما لم يدخله الأدب المسرحى ، ذلك الأدب الذى يشغل النصف وأكثر من النصف من آداب الأمم الحية التى تفرض نفسها وثقافتها وفكرها على غيرها من الأمم ، وهى إنما تتم لها تلك السيطرة الذهنية بما يبذله أدباؤها المسرحيون من إنتاج عجيب لا يعرف الكسل ، ويأبى إلا أن يعطى أكثر مما يأخذ ، بل هو فى الغالب يُعطى كثيراً ولا يأخذ شيئاً ...

وإن لم يكن بد من أن يكون لنا مسرح فليس الشعب وحده هو الذى يضع دعائمه ، وليست الحكومة وحدها هى التى تضطلع بكل شىء فيه ، وليست جهود الأفراد المتواضعة هى التى تكفل قيام هذا الصرح الذى نريد أن يكون رمز نهضتها كما هو رمز نهضة تلك الأمم التى تكتسح آدابها — عن طريق السينما والمسرح والكتب — حياتنا المصرية خاصة ، وحياة الأمم العربية على وجه العموم ... بل يجب أن تتضافر الجهود جميعاً فى إنشاء هذا المسرح ، على أن تكون القيادة العليا بيد الدولة مؤقتاً ، وعلى أن تكون تلك القيادة العليا قسمةً بين وزارتى المعارف العمومية والشئون الاجتماعية ... قسمةً فى الاختصاص ، وليست قسمة فى الهدف ؛ فتنشئ وزارة المعارف المعاهد الكثيرة للتمثيل لتمد وزارة الشئون بمن تحتاج إليهم من الممثلين والمخرجين ومصورى المناظر ومهندسى الإضاءة وغيرهم ممن تفتقر إليهم مسارحها التى يجب أن تنشئها فى طول البلاد وعرضها لتثقيف الشعب وتهذيبه ، ولنشر الدعايات الوطنية والأخلاقية التى ينبغى بثها فى طبقاته

لقد آن الأوان لإصلاح الغلطة الكبرى التى وقعت فيها إحدى الوزارات الانقلابية الرجعية السابقة ... تلك الوزارة التى سوّغت لها التقاليد التى كانت تحرص عليها فى جهل هو أقبح من العمى فألغت معهد التمثيل ، وحرمت بذلك نهضتنا

(قلت) : لا يضير أن يلتفت إلى ما ذكره السليمانى ، وإذا ثبت قوله فى ابن بكار فمن يضع الحديث النبوى يضع الحديث الأدبى

وذكر ابن خلكان وياقوت هذه القصة وخلاصتها أن الزبير دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر فأكرمه وعظمه ، وقال له إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب . ولما ودعه قال : إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك

قال : أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت ؟

قال : بل بما شاهدت

قال : نعم ؛ بينا أنا فى مسيرى هذا أبصرت جماعة مجتمعة ، فأقبلت إليهم ، وإذا برجل كان يقنص الظباء ، وقد وقع ظبى فى حبالته ، فذبحه فانتفض فى يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات ، وإذا بفتاة أقبلت كأنها المهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت أبياتاً منها :

أضحت فتاة بنى نهد علانية ... وبعلها فى أكف القوم محتمل

ثم شهقت فماتت . فما رأيت أعجب من الثلاثة : الظبى مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة . فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله : أى شىء أفدنا من الشيخ ؟

قالوا : الأمير أعلم

قال : قوله (أضحت فتاة بنى نهد علانية) أى ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمعه فى كلام العرب قبل اليوم

(قلت) : إنها لقصة كيسة[1] وإن فيها لفائدة وإن لم يكن مما خرف[2] الشيخ به شىء

(م)

(١) العامة تقول : كويسة

(٢) حدث ، أخير . مولدة مشتقة من الخرافة أو من خرافة المشهور . وهى فى كلام الامام العبقرى بن حزم (الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٨٤ وفى كلام القرويين فى بعض الأقاليم العربية . وقد رأيت بث الكلمة ، لأن هذا الزمان وكتاب القصة المخرفين فيه — فى حاجة إلى التخريف

من الممثل المثقف الذى هو المادة الأولى للحياة المسرحية

لقد آن لنا أن ننظر إلى المسرح نظرة فيها جد وفيها احترام وفيها تقدير للرسالة التى يقوم بها بيننا رجاله الأوفياء المجاهدون

يجب أن تكفل الدولة العيش الهانئ الرغيد لكل المسرحيين من مؤلفين ومخرجين وممثلين مهندسين حتى تضمن إخلاصهم لفنهم ، وحتى لا تسلمهم آخر الطاف للفقر والفاقة ، وتسلم أبناءهم للجوع والعوز

التمثيل فن ومهنة ورسالة ... وهو لم يعد تلك المتعة الرخيصة المبتذلة التى كانت تبحث عن أبطالها بين الطبالين والزمارين والراقصين

التمثيل من أشرف المهن إن لم يكن أشرفها جميعاً ، وهو لم يعد يهدف إلى إمتاع النـاس فحسب ، بل هو يعمل على رفع مستواهم وإصلاح حالهم بطرق لا يستطيع غيره أن يحسنها ... فالمسرح يستطيع أن يؤدى من الخير للأمة مالا تستطيع المدرسة أن تؤديه ... ولتكن هذه المدرسة أية المدارس شئت ... ورب درامة تشير من بعيد إلى أحد الأمراض السرية ، تقى الناس من تعريض أنفسهم لهذا المرض ، فتنجو الأمة من شروره ، وتوفر على كلية الطب جهوداً تستطيع أن تصرفها إلى ميادين أخرى

ورب درامة تؤدى لأمة من هذه البلاد وسلامها مالا تستطيع مائة كاملة من دور البوليس أن تؤديه ؛ لأن الدرامة تعالج الجرائم قبل وقوعها ، فإما أن تمتنع امتناعاً تاماً فلا يقع منها شىء ، وإما أن يقع العدد القليل منها فى صور مخففة . أما دور البوليس ومحاكم القضاء فتعالج الجرائم بعد وقوعها ، ثم هى تعالجها علاجاً سلبياً قد ينتهى إلى شرور مضاعفة تزيد فى متاعب الأمة وتعقد أمورها تعقيداً شديداً

ورب درامة ترفع من مستوى الأمة الصحى بما لا تستطيعه تلك المئات من المكاتب الصحية المنتشرة فى البلاد ، وذلك بما توحى به من العناية بالنظافة وإنقاذ الطبقات من عاداتها المستهجنة

ورب درامة تبث من روح الجندية والاستبسال الوطنى أضعاف ما تستطيعه تلك الأناشيد الببغائية التى يرددها الجنود ترديداً أصم دون أن يفقهوا لها معنى

ومن المؤلم حقاً أن نورد هذه البراهين التى هى بالموضوعات الإنسانية أخلق لكى تقنع أنفسنا بقيمة المسرح ... ولكن ما الحيلة وقد أشرنا فى كلمة قديمة إلى انحطاط المستوى الثقافى بين رجال المسرح المصرى ، وما ينتهى إليه انحطاط هذا المستوى الثقافى من انحطاط الممثل فى أخلاقه وسلوكه وعدم تقديره لملكاته أو انخداعه فى تقدير تلك الملكات ، وما يؤدى ذلك إليه من زراية الناس به وإزرائهم عليه وهوانه عندهم ، وما يصيب المسرح من جراء ذلك من التأخر والانتكاس ، بل الموت والفناء ، فجادلنا بعض الأصدقاء فى حقيقة المسرح ، وأنكروا وجوده على الإطلاق ، وذهبوا فى عدم اعترافهم به إلى أبعد حدود المغالاة . ونحن ما زلنا عند ما أثبتنا به على الكثيرين من القائمين بأمر المسرح المصرى ، لأننا نعدهم أبطالاً شهداء استطاعوا أن يقفوا فى تيار الزراية بهم حتى فتحوا أعيننا على حقيقة المسرح ، وما ينبغى له من عناية وإصلاح ... أو تجديد كامل إن اقتضى الأمر التجديد الكامل ، لأن هذا لا يضيرهم فى شىء ، ما دامت الدولة ستعرف لهم سابقة الفضل وأولوية الجهاد ، والبدء بالتضحية التى بخلت بها العائلات المحافظة فضنت بأبنائها وبناتها على المسرح الناشئ جهلاً منها وعدم عرفان بقيمته ، وإن خرج بعض الشباب من أبناء أرقى الأسرات المصرية على هذا التقليد ، فأقدموا إقدام الأبطال على الاحتراف المسرحى ، فأعلوا من قدر المسرح ، وارتفع بهم شأن التمثيل

ولقد عرضنا على القراء فى كلمات سابقة بعض الخطوات التى خطاها المسرح فى عدد من الممالك الأوربية بين الحرب الكبرى والحرب العالمية الحاضرة ، وكان عرضنا لها بقصد الانتفاع بها فى تجديد المسرح المصرى ، وإقام دعائمه على ضوء التجارب التى نضج بها المسرح الأوربى حتى نوفر على أنفسنا مشقة الوقوع فى أخطاء لا داعى للوقوع فيها ما دام فى مستطاعنا أن نهتدى بما تم من ذلك فى الممالك الأخرى . وقد اتفقت

الآراء على وجوب إنشاء أكثر من معهد واحد للتمثيل لتخريج الممثل المثقف الذي يجيد لغة أجنبية واحدة على الأقل ، والذي له نصيبه من الثقافة العامة التي ينبغي ألا تقل عن القدر الذي يتم به الطالب علومه الثانوية ، يضاف إلى ذلك ما يلقاه في المعهد من تاريخ المسرح وفن الإلقاء ، وما يمارسه فيه من أداء عدد من (الأدوار) في مختلف العصور المسرحية ، ومن مختلف أنواع الدرامة ، إلى ما يحسن أن يعرفه أو يتقنه من أصول الموسيقا والإنشاد وما إلى ذلك مما لا تكمل ثقافة الممثل إلا به ، وما ينبغي له من الرياضة البدنية والتمرن على إطلاق النار والمبارزة مما تتم به مرونة الجسم ويتفادى به ذلك الاستكراش والترهل الذي يعيب جسوم الكثيرين من ممثلينا

ولا يُعقل أن ننتظر حتى تنشئ وزارة المعارف معاهد التمثيل هذه ، وحتى يتخرج الممثل المثقف الذي نريده لنهضتنا المسرحية لا يعقل أن ننتظر حتى يتم ذلك وغيره لنشيد مسرحنا الجديد ... بل ينبغي على وزارة المعارف أن تسارع فتنشئ اتحاداً للممثلين الحاضرين ـ ولنسمِّهم القُدامى مع تقديم اعتذارنا ـ على أن تقدم لهذا الاتحاد داراً فخمة تصلح أن تكون نادياً لهم ، كما تصلح أن تكون معهداً تلقى عليهم فيه محاضرات منتظمة في كل ماله علاقة بفنهم وكل ما من شأنه أن يضمن لهم قدراً من الثقافة التي حرم أكثرهم منها ـ وفي مصر ولله الحمد عدد لا بأس به من رجال المسرح المثقفين ثقافة عالية يستطيعون أن ينظموا هذه المحاضرات ، أو الدروس ، وأن يلقوها على فترات متقاربة مقابل مكافئات طيبة ، (ويجب أن تكون طيبة !) ... ولا بأس مطلقاً ، من سبيل التشجيع للممثلين على الاهتمام بتلك المحاضرات ، أن يعقد لهم امتحانات بعد مدة معينة ، فمن جازها منهم منح شهادة فنية تحمية في المستقبل من كبرياء الخريجين الجدد في معاهد التمثيل ، حتى يقف معهم حين يجد الجد على قدم المساواة ، وبذلك لا تقع الدولة فيما وقعت فيه من قبل مع المحامين الذين لم لم يحصلوا على شهادة الحقوق القديمة والذين حصلوا عليها ، ثم مع المدرسين الذين لا يحملون مؤهلات فنية والمدرسين الذين يحملون هذه المؤهلات

ولا محيص أيضاً من تشجيع الإقبال على معاهد التمثيل بربط درجات في ميزانية الدولة لخريجي هذه المعاهد ، ولا بد من أن تكون تلك الدرجات مساوية على الأقل لدرجات الشهادات العالية ، على أن ينال الممثلون القدامى ممن منحوا الشهادات الفنية الحق في التمتع بتلك الدرجات وعلى أن يمتازوا أيضاً بفرق الأقدمية تكريماً لهم وتعويضاً عن جهادهم الشاق الطويل

ولا يحق لوزارة الشئون أن تعتبر المسارح منشئات تجارية تدر الربح ، بل يجب أن تعتبرها مدارس شعبية ينفق عليها وتربط لها الميزانيات الضخمة كما تنفق وزارة المعارف على التعليم الإلزامي والتعليم الأولي ، وكما تساهم في نفقات التعليم العام والتعليم العالي بأكثر مما يدفعه الطالب وبأضعافه في بعض كليات الجامعة ... مما يبلغ الملايين الضخمة سنوياً ... يجب أن تتناول وزارة الشئون مسئلة المسرح على هذا النحو من الوجهة الاقتصادية ، ولتذكر أن دولة أثينا القديمة كانت تعتبر المسرح هو المدرسة الشعبية العامة ، وكانت تخفض أجرة الدخول إلى الحد الذي لا يرهق أحداً حتى أفقر أفراد الشعب ، إذ كانت تلك الأجرة لا تتجاوز ثلاثة أوبولات أي ما يساوي قرشين تقريباً ، وكان من حق العمال جميعاً أن يأخذوا من خزانة الدولة هذه الأجرة على ضآلتها ، وذلك لكي يتسنى لهم شهود درامات آلهة المسرح الإغريق العتيد من أمثال : سخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . وكان بركليس يباهي بذلك قائلاً : « إننا هنا ، وبتلك الوسيلة ، نستطيع أن نخلق شعبنا على المثال الذي نريد ! » ومن رأينا أن نحتذي حذو أثينا ونقتدي بما كانت تصنع ، فنخفض أجور المسارح إلى الحد الأدنى ، على أن يكون للعمال حق الدخول مجاناً أو بنصف الثمن أما من أين توفر الدولة ما يقتضيه ذلك من الأموال الضخمة فأمامها بلديات المدن المصرية جميعاً . لتفرض على ميزانيات تلك البلديات دفع إعانات خاصة ، وعلى حسب مقدرة كل منها ، لتشجيع المسرح ، ولنتخذ من ألمانيا قبل الحرب الحاضرة مثالاً نحتذيه ، فلقد ذكرنا في مقالاتنا السابقة أن بلدية كولونيا كانت تعين مسرحها المحلي بخمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات سنوياً ، وأن قرية ثورن كانت تعين مسرحها المحلي المتواضع بألف من الجنيهات سنوياً ، وقس على ذلك جميع المدن والقرى الألمانية ؛

فإذا ساهمت بلديات المدن المصرية بمبلغ إجبارى تدفعه سنوياً لوزارة الشئون لتوفر لديها مبلغ ضخم يربى على الملايين يفعل الأعاجيب فى نهضتنا المسرحية ، إذ تسدد منه جميع النفقات ، كما تضمن للممثلين علاوات كبيرة ، وللمجيدين منهم منحاً عالية ويسعها فى الوقت نفسه أن تجزى المترجمين الذين ينقلون الدرامات الأجنبية إلى العربية ، ثم المؤلفين المصريين والمؤلفين العرب الذين يمدون المسرح بثمار قرائحهم ، عاملين جهدهم على خلق الدرامة المصرية أو العربية وسلكها فى الأدب العربى الذى لا يعرفها ... ولنذكر وزارة الشئون بهذه المناسبة — مناسبة المؤلفين — أن حكومة أثينا كانت تعقد المباريات بين المؤلفين اليونانيين فى العصر القديم — القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد — وأنها كانت تجزى الفائزين بمكافآت سخية تربى الواحدة منها على المائتين من الجنيهات عداً ونقداً

وقد يلاحظ بعضهم أن ما نقترحه هنا يدور كله عن المسرح الحكومى ، وإننا لم نُشر إلى وجوب وجود المسرح الحر الذى تنطلق فى جوه الحرية بأوسع معانيها ... ونحن بالطبع لم نغفل ذكر هذا المسرح إلا ونحن نعمد هذا الإغفال الآن ، حتى يكثر عدد خريجى معاهد التمثيل ، وحتى تأخذ القاعدة الاقتصادية الخاصة بالعرض والطلب مجراها ، فتضيق المسارح الحكومية بالخريجين وتوجد الفرصة بالضرورة لقيام المسرح الحر على مثال الـ Théatre Libre فى فرنسا والـ Freie Bühne فى ألمانيا والنمسا والمسرح الحر الإنجليزى بكل أنواعه ، ثم تنشأ المنافسة البريئة بين المسرحين على أن تكون منافسة ترعاها الحكومة وتتولاها حتى لا تنتهى إلى ما انتهت إليه فى أوربا من قيام المسرح التجارى الذى ينحط بجمهوره ولا يحاول الارتفاع به ، لأن أقصى ما يعنيه هو الربح والربح وحده — ويستطيع المسرح الحر حين يقوم أن يعتمد على موارد ثابتة وموارد متقلبة يغطى بها نفقاته ويضمن لأصحابه أرباحاً ضخمة يسيل لها لعاب أصحاب رؤوس الأموال . أما الموارد الثابتة فتتألف من الإعانات الحكومية ومن اشتراكات أعضاء المسرح المحليين ، وذلك على نحو ما كان حاصلاً فى ألمانيا قبل الحرب الحاضرة وقبل قيام الحكم النازى على وجه التحقيق . وينبغى ألا تكون الإعانات الحكومية هبة تمنح فى كثير من التردد والمن ، بل يجب أن تكون شيئاً مقرراً لا تملك الحكومة رفض صرفه أو قطعه لغير أسباب لها وجاهتها ، كما يجب أن تكون هذه الإعانات ضماناً لحسن سير العمل بالمسارح فى أول الأمر ، فلا يتحكم المديرون فى الممثلين ولا ينصبوا من أنفسهم طغاة عليهم . . .

أما نظام الاشتراك المسرحى الذى يجب أن يأخذ به مسرحنا الحر عن المسرح الألمانى ، فهو نظام عتيد يضمن للمسرح إيراداً ضخماً يتجدد من اشتراكات ضئيلة لا ترهق الأفراد ، فلقد ذكرنا أن أحد مسرحى برلين يضم أعضاء من العمال يبلغ عددهم ستين ألفاً يدفعون ستين ألفاً من الجنيهات سنوياً — أى أن العضو يدفع جنيهاً سنوياً على أقساط — مقابل شهود أربعين رواية فى كل موسم تمثيلى ، ومقابل امتيازات أخرى عالية منها حضور محاضرات ثقافية منظمة والحصول على مجلة شهرية تعنى بأمور كثيرة أهمها المسرح والرياضة . ونحن نستطيع أن نُعدل فى نظام الاشتراك المسرحى ما نشاء بحيث نبقى على روحه لينفع مسرحنا الحر من الوجهة الاقتصادية . أما الموارد المتقلبة فأهمها (إيراد الشباك) والإعلانات التجارية التى نشهد منها نماذج فى دور الصور بالقاهرة اليوم ، وهى تدر أرباحاً لا بأس بها تضيف إلى إيراد المسرح .

(يتبع)

دريني خشبة

مجلس مديرية الغربية

الإدارة الهندسية القروية

تقبل العطاءات مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره اثنين فى المائة لغاية ظهر يوم الخميس ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٣ عن توريد ودق آبار ارتوازية بنواحى أبيار مركز كفر الزيات — والراهبين مركز سمنود — والشين مركز طنطا

وتطلب الشروط من إدارة المجلس على عرضحال دمغة نظير دفع مائتى مليم

٨٧٦